القول: ولعل صحيفة بشر بن المعتمر (– ٢١٠هـ) من أقدم الآثار في ذلك (١)، وقد تحدث فيها عن فن القول وأوضح فيها كثيراً من القضايا التي أصبحت عمدة البلاغيين والنقاد، من ذلك كلامه على الإستعداد للإنتاج الأدبي والإهتمام بتخير اللفظ والمشي وتحديد المنازل التي يمر بها الأديب، وأولها منزلة البليغ التام الذي يكسو عبارته جمالاً يرجع إلى رشاقة الألفاظ وعذوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني واتساقها. وثانيها منزلة من لم تسعفه طبيعته بالألفاظ الملائمة والقوافي الجيدة والمعاني الرائعة، وعليه أن يتأنى ويؤجل الكتابة إلى وقت نشاطه وفراغ باله، فإن كان له في الأمر طبيعة حقاً واتاه الكلام وانثالت عليه الألفاظ والمعاني. وثالثها: منزلة من شحّ طبعه ونضبت ينابيع القول عنده، وهذا لايأتي بجيد الكلام مهما حاول أو تكلف، يوجريٌ به أن يترك صناعة الأدب ويتحول إلى غيرها. وفي الصحيفة حديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمطابقة من أهم شروط البلاغة.

* ومن المتكلمين الذين شاركوا في البلاغة وفن القول واصل بن عطاء (– ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (– ١٤٤هـ) وسهل بن هارون (– ١٧٣هـ) والجاحظ الأديب المعتزلي. وقد طبع هؤلاء وغيرهم البلاغة بطابع عقلي يعتمد على الاستدلال والدقة في التحديد والتقسيم.

وألف بعض فلاسفة المسلمين في البلاغة والنقد، ولكنهم كانوا يغرفون من بحر أرسطو طاليس، ويلخصون كتابيه «الشعر» و «الخطابة». فقد اختصر كتاب الشعر الكندي (– ٢٥٢هـ) ولخصه أبو نصر الفارابي (– ٣٣٩هـ)، ولابن سينا (– ٤٢٨هـ) رسالة في «معاني الشعر»، ولابن الهيثم (– ٤٣٠هـ أو ٤٣٢هـ) رسالة في «صناعة الشعر»، ولابن رشد (– ٥٩٥هـ) تلخيص لشعر أرسطو.

* ولكن الذوق العربي رفض مثل هذه الدراسات لأنها لاتحكّم الذوق في الأمر وقد صرح الجاحظ بذلك فقال :

---

(١) الصحيفة في البيان ج ١ ص ٣٥ وكتاب الصناعتين ص ١٣٤.

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يكفي عن صلة كلبه
ولم يكن فو القروح يلهج بالمنطق مانوعه وما ســـيبـــه
والشعر لمحٌ تكفي اشارته وليس بالهذْر طوكت خطبه

وقال ابن الأثير (– ٦٣٧هـ) عن أساليب الفلسفة ورأى في أصحابها من أمثال الفارابي وابن سينا رجالا أضلّهم أرسطو وافلاطون (١):

(١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٣١٩.